OPEN ACCESS
Received: 23 -07 -2025
Accepted: 08- 10-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

The Rhetorical Approach of Al-Sakkaki and Al-Qazwini: A Comparative Study between *Miftah al-Ulum* and *al-Eidhah*

Aisha Mohammed Ghalib Al-Harithi *
sa.ks1419@gmail.com

Abstract:

This study investigates the rhetorical orientations of two major figures in Arabic rhetorical thought—Al-Sakkaki (d. 626 AH) and Al-Qazwini (d. 793 AH)—through a comparative analysis of *Miftah al-Ulum* and *Al-Eidhah*. Both scholars shaped the intellectual foundations of Arabic rhetoric, with Al-Sakkaki's *Miftah al-Ulum* serving as the pivotal source from which Al-Qazwini drew in formulating his systematic tripartite classification of rhetoric into *Elm al-Ma'ani*, *Elm al-Bayan*, and *Elm al-Bade'a*. The research adopts a comparative analytical approach, examining Al-Sakkaki's scientific and comprehensive vision characterized by structural coherence and intellectual inclusivity, alongside Al-Qazwini's pedagogical, emotional, and religious orientations. The findings reveal that Al-Qazwini's work was deeply influenced by Al-Sakkaki's rhetorical principles, while Al-Sakkaki's project stands out for its conceptual depth and systematic methodology, viewing rhetoric as part of a broader literary and linguistic science. The study highlights the continuity and divergence between both scholars' rhetorical perspectives, affirming their lasting impact on the formation of Arabic rhetorical theory.

Keywords: Arabic Rhetoric, *Elm al-Bayan*, *Elm al-Bade'a*, *Elm al-Ma'ani*, Rhetorical Sciences.

* PhD Candidate in Arabic Literature, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, King Khalid University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al-Harithi, A. M. G. (2025). The Rhetorical Approach of Al-Sakkaki and Al-Qazwini: A Comparative Study between *Miftah al-Ulum* and *al-Eidhah*, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(4): 280 -293 https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2878

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/07/23م
تاريخ القبول: 2025/10/08م

الاتجاه البلاغي عند السكاكي والقزويني: دراسة موازنة بين مفتاح العلوم والإيضاح

عائشة محمد غالب الحارثي*
sa.ks1419@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى استكشاف الاتجاه البلاغي عند السكاكي والقزويني: دراسة موازنة بين مفتاح العلوم والإيضاح، للإمام السكاكي (ت626هـ) والخطيب القزويني (ت 793) اللذين يعدان من الأعلام المبرزين في تراثنا العربي بصفة عامة، وفي مجال البلاغة بصفة خاصة، وكان كتاب (مفتاح العلوم) للسكاكي المفتاح الذي فتح به الخطيب القزويني باب البلاغة، ومنحها اسمها، وقسمها تقسيمًا ثلاثيًّا (المعاني- البيان - البديع)، وهذا التقسيم، استقر عليه الدرس البلاغي حتى الآن. ومن هذا المنطلق قام البحث بالموازنة بين اتجاهيْ هذين العالمين الجليلين، ويهدف البحث إلى بيان الاتجاهين البلاغيين للسكاكي والقزويني والموازنة بينهما، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، ألقى التمهيد إضاءة على (المفتاح) و(الإيضاح)، واختص المبحث الأول بدراسة اتجاه السكاكي البلاغي من خلال العلمية والشمول، والهرمية وتماسك النص، واستقبال الوافد، وحلل المبحث الثاني اتجاه القزويني البلاغي، الذي اتخذ ثلاثة مسارات، هي الاتجاه التعليمي، والاتجاه التأثري، والاتجاه الديني، وأنهيت البحث بالمبحث الثالث الذي تمخض عن الموازنة بين الاتجاهين اللذين يمثلان منهجهما البلاغي، ورصد مواضع الاتفاق والاختلاف بينهما. وتوصل البحث إلى أن الخطيب القزويني قد تأثر بالسكاكي في كتابه المفتاح، وقد امتاز مشروع السكاكي بالعلمية والشمولية، بوصفه كتابًا في علم الأدب، وليس في علم البلاغة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، علم البيان، علم البديع، علم المعاني، علوم البلاغة.

* طالبة دكتوراه في الأدب، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الحارثي، ع. م. غ. (2025). الاتجاه البلاغي عند السكاكي والقزويني: دراسة موازنة بين مفتاح العلوم والإيضاح، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(4): 280- 293 https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2878

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

يمثل الإمامان السكاكي والخطيب القزويني حلقة مهمة في مضمار تراثنا العربي، وترجع أهمية السكاكي إلى أنه وضع مفهومًا لعلم الأدب لأول مرة في دائرة الثقافة العربية، وكذلك ظهر عنده مصطلحات: المعاني والبيان والبديع، التي أودعها كتابه الموسوم بـ (مفتاح العلوم)، مما جعل الخطيب القزويني يلتقط منه الخيط، ليؤلف كتابيه (التلخيص) و (الإيضاح في علوم البلاغة)، ومصدر هذين الكتابين مفتاح السكاكي، ويُعدُّ القزويني أول من وضع علم البلاغة بمفهومها وأقسامها للعلوم الثلاثة التي استقرَّت عليها إلى الآن، وهذا ما جعلني أقرن بين العالمين، وأختار كتابيهما موضوعًا للبحث.

وتكمن أهمية البحث: في استشراف تجربتيْ السكاكي والخطيب القزويني، فقد تتلمذ القزويني على كتاب (مفتاح العلوم)، فقام بتلخيصه، ثم شرح التلخيص في كتاب (الإيضاح)، فيعدُّ الرجلان ذوَي فضل على الثقافة العربية بوجه عام، والبلاغة العربية بوجه خاص، وتكمن أهمية الدراسة أيضًا في بيان ما أنتجته العقلية العربية في عصر من أزهى عصور الأمة العربية على الإطلاق، وبيان اتجاهات الرجلين والموازنة بينهما.

ويهدف البحث: إلى تحليل اتجاه السكاكي البلاغي، واتجاه القزويني البلاغي أيضًا، والموازنة بين الاتجاهين للكشف عن المؤتلف والمختلف بينهما.

وأهم أسئلة البحث، هي:

ما اتجاه السكاكي البلاغي؟

ما اتجاه الخطيب القزويني البلاغي؟

هل هناك مواضع اختلاف وائتلاف بين اتجاهيْ السكاكي والقزويني؟

وسوف أعتمد في هذا البحث على المنهج الموازن الذي يبحث عن أسباب حدوث بعض الظواهر عن طريق إجراء مقارنات لظواهر أخرى مشابهة، بهدف التعرف على العوامل المسببة لحدوث هذه الظاهرة والتعمق في فهمها، وتحليل أسبابها.

ويساعد هذا المنهج أيضًا في توضيح أوجه التشابه والاختلاف في الظواهر مجال البحث، ويستخدم طرقًا مختلفة في دراسة الظاهرة، أهمها: طريقة الاتفاق، وطريقة الاختلاف، والطريقة المشتركة.

أما خطة البحث: فقد قسمته إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تناولت المقدمة أهمية الموضوع، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، وخطته، ويستشرف التمهيد تجربة السكاكي والقزويني.

ويتناول المبحث الأول اتجاه السكاكي البلاغي، والمبحث الثاني يدرس اتجاه القزويني البلاغي، ويتجه المبحث الثالث إلى الموازنة بين الاتجاهين.

التمهيد:

لقد مرّ علم البلاغة بمراحل مختلفة إلى أن تحددت معالمه، واستُقرئت قواعده ولقد مثّل كلّ مرحلة من هذه المراحل عدد من الدارسين الأفذاذ الذين أسهموا في تأسيس هذا العلم وتطويره، واجتهدوا في وضع النظريات والتصورات والمصطلحات التي تخصّه، ويُجمع الدارسون على أنّ علم البلاغة شهد أربع مراحل في أثناء مسيرة تشكيله، بدأت بمرحلة النشأة التي احتضنت بذور البلاغة في منابتها الأصيلة فكانت البلاغة عبارات وأفكارًا متفرقة، فمرحلة النّمو التي شهدت الدّراسات البلاغية المنهجية ويمثلها الجاحظ وقدامة وابن المعتز، ثمّ مرحلة النّضج التي تبلورت فيها علوم البلاغة الثلاثة

وكان فارس هذه المرحلة عبد القاهر الجرجاني، وأخيرًا مرحلة الاكتمال التي اعتنت بتحديد المصطلحات، وصياغة القواعد النهائية لهذا العلم الجليل وأبرز علماء هذه المرحلة السكاكي. (محمد، 2019).

ولقد اشتهر العالم الجليل الإمام السكاكي في تاريخ الثقافة العربية "بقراءته الخاصة للبلاغة العربية تلك القراءة التي صنفت مباحثها إلى معان وبيان وبديع"(العمري، 1999، ص 479)، وتنبثق هذه الشهرة من أن السكاكي "أعطى لأصول العلوم التي أفرد لها القسم الثالث من كتابه الصيغة النهائية التي عكف عليها العلماء من بعده يتدارسونها ويشرحونها"(عتيق، 2004، ص 32).

ولقد استفاد السكاكي في المفتاح من كتابيْ عبد القاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، وكتاب (الكشاف) للزمخشري، وكتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) لفخر الدين الرازي (ت606هـ)، فقد جاء السكاكي من بعد عبد القاهر وقد تمهدت قواعد البلاغة تمهيدًا، وتمت بناءً وتحديدًا، وانحصرت أصولها وفروعها، إلا أنّها كانت مجموعة في سمط واحد وتحت موضوع واحد، فاخترع السكاكي ترتيبا جديدًا بين هذه المباحث، فجمع منها ما كان متعلقًا بمطابقة الكلام لمقتضى الحال وسماه علم المعاني، وما كان متعلقًا بإيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة وسماه علم البيان(عبد الرزاق، 2004، ص 27؛ عتيق، 2004، ص 23)، فهو يفرد ما يتعلق منها بتنظيم الألفاظ في علم المعاني، ويجعل ما يتعلق منها بوضوح الدلالة وخفائها في علم البيان، ويجعل الوجوه التي تقصد لتحسين الكلام ذيلا لهذين العلمين(الصعيدي، 2002، ص 36).

وإن من آثار مدرسة السكاكي نشوء مدرسة الخطيب القزويني الاتباعية، فقد قام الأخير بتلخيص كتاب: (مفتاح العلوم) للسكاكي، وبعد تلخيصه أفضل تلخيصات كتاب (مفتاح العلوم) وأشهرها، وهو لم يكن مجرد ملخص لمفتاح السكاكي، بل كانت له لمسات وإضافات، ولما كان التلخيص موجزًا، ويحتاج إلى شرح وتفصيل، فقد قام الخطيب القزويني بشرحه في كتابه المسمى (إيضاح التلخيص) (زنجير، 2015). بالتالي كان من المناسب دراسة اتجاهيْ السكاكي والقزويني والموازنة بينهما في المباحث الآتية:

المبحث الأول: اتجاه السكاكي البلاغي

إن السكاكي قد وُجهت له سهام النقد من كل مَن تناوله من المحدثين، وحمَّلوه وزر التقعيد والتعقيد، وجمود البلاغة العربية، حتَّى قيَّض الله له عالمين جليلين، فقرآ مشروعه قراءة جديدة، نفضت غبار الإجحاف الذي أصابه، وهذان العالمان هما: سعد مصلوح، ومحمد العمري، فسوف أتناول اتجاه السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) من خلال ما توصلا إليه من حقائق ونتائج في الصفحات الآتية:

1- العلمية والشمول

مشروع السكاكي مشروع علمي، وليس مشروعًا تعليميًّا، وهو شامل مجموعة من العلوم، ومن ثم وسم كتابه بمفتاح العلوم، أي: مفتاح علوم الأدب. إن نظريته التي وضع بها علم الأدب، إنما تشكلت عنده عن قصد ونيَّة، وعن وعي بأن "علم الأدب" بدا وكأنه قتيل تفرَّق دمه في القبائل، وأنه – بأجزائه – صار كطير إبراهيم عليه السلام، إذ جعل على كل جبل منهنَّ جزءًا، وأنها تنتظر من يدعوهنَّ ليأتينه سعيًّا" (مصلوح، 2003، ص 53).

فكان ذلك الداعي هو الإمام السكاكي الذي دعا علوم الأدب المتفرقة في بطون الكتب، فأتته سعيًّا حتى تضافرت في منظومة واحدة، وسُلكت في عقد منضود، يقول في مقدمة كتابه: " وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخذة فأودعته علم الصرف بتمامه، وإنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع على أنواعه الثلاثة، وقد كشفت عنها القناع، وأوردت علم النحو بتمامه، وإنه لا يتمّ إلا بعلمي المعاني والبيان، ولقد قضيت بتوفيق الله

منهما الوطر، ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أر بداً من التسمح بهما، وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفاً على ممارسة باب النظم وباب النثر، ورأيت صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي ثنيت عنان القلم على إيرادهما، وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعدما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب، ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام هنالك، ومهدت لكل من ذلك أصولاً لائقة، وأوردت حججاً مناسبة" (السكاكي، 1983، ص 6).

وهناك من الباحثين مَن ينظر إلى (مفتاح العلوم) على أنه كتاب تعليمي، لأنه ينظر إليه أنه كتاب في البلاغة، وليس في الأدب، ومن ثم يحملون منهج السكاكي فوق ما يحتمل، وينظرون إلى الكتاب بمنظور يختلف عن هدف الكتاب، يقول محمد عدناني، ومريم الشامسي: "لم يستعمل السكاكي عبارة البلاغة وإنما استعمل مصطلحين: علم الأدب، وصناعة البلاغة، وكان المقصد هو إنشاء خطاب بمعنى العلم المضبوط المنظم، وهدفه تعليمي بالدرجة الأولى"(الشامسي، وعدناني، 2023، ص 45).

والواقع أن كتاب السكاكي كتاب علمي، وليس تعليميًّا، فهو لم يقصد إلى تأليف في البلاغة بمفهومها الخاص، فلم نعثر في كتابه ما يشهد على ذلك، فعنوان كتابه (مفتاح العلوم)، بيد أن هناك حصرًا، يلزمنا المؤلف به، هو أن الكتاب ليس مفتاحًا لكل العلوم، بل هو مفتاح لعلم واحد، هو - علم الأدب - الذي هو حصيلة عدة أنواع، أو علوم أدبية، تبدأ من الصرف والنحو ثم علمْ المعاني والبيان، وما يقتضيانه أو يطلبانه من مباحث الاستدلال والشعر (العمري، 1999، ص 479، 480؛ القحطاني، 2025).

وقد قسم السكاكي كتابه ثلاثة أقسام، يقول: "وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام:

- القسم الأول في علم الصرف.
- القسم الثاني في علم النحو.
- القسم الثالث في علمي المعاني والبيان" (السكاكي، 1983، ص 7، 8).

ومع أن "علم البيان" علم قائم برأسه، فإن السكاكي يعتبره شعبة من علم المعاني، يأتي تاليًا في السلسلة التي تشكل المنظومة، لأنه يمثل مستوى في التحليل تاليًا معاني النحو، وإن كان لا ينفك عنها (مصلوح، 2003، ص 58؛ آل عجيم، 2024).

وهذا ما عبَّر عنه السكاكي بقوله: " ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم؛ آثرنا تأخيره" (السكاكي، 1983، ص 162).

ومن هنا نتبين أن الثلاثية الحقيقية في نظرية السكاكي في النظر إلى نوع الأدب، هي الثلاثية المكونة لعلم الأدب (صرف – نحو – معانٍ)، والبيان شعبة من علم المعاني (مصلوح، 2003، ص 60).

ولا يستقل البديع في ثلاثية السكاكي، ولا يطلق عليه علمًا، ولا يُخَصَّصُ له قسمٌ مستقلٌ، بل هو تابع لعلم المعاني، فيمكن "أن يُنسب إلى علم المعاني باعتبار مطابقة الحال، وأن تُنسب الوجوه التحسينية في الوقت نفسه، باعتبار تزيين الكلام، وهما أمران لا يتدافعان" (مصلوح، 2003، ص 60).

وتظل الثلاثية الحقيقية عند السكاكي صادقة عندما تتجاوز علم البيان إلى علمْ الحد والاستدلال، حيث إنه لا يعدهما قسمًا من أقسام الكتاب (مصلوح، 2003، ص 61).

ونتبين ذلك من عنوانيه: (من تكملة علم المعاني في الحد وما يتصل به) (السكاكي، 1983، ص 436)- (من تكملة علم المعاني في الاستدلال) (السكاكي، 1983، ص 438).

وعلم الشعر هو مكمل للعلوم الثلاثة أيضًا، وفرعا علم الشعر العروض والقوافي، يقول السكاكي: " الفن الأول من تتمة الغرض من علم المعاني وهو الكلام في الشعر وفيه ثلاثة فصول؛ أحدها: في بيان المراد من الشعر، والثاني: فيما يخصه

لكونه شعرًا، وهو الكلام في الوزن، وثالثها: فيما يتبع ذلك على أقرب القولين فيه؛ كما نطلعك على ذلك، وهو: الكلام في القافية (السكاكي، 1983، ص 515)

ومنهج السكاكي لا يقوم على التقعيد كما يظن بعض الباحثين، فنرى محمد عدناني ومريم الشامسي، يصفان منهج السكاكي بأنه منهج يقوم على التقعيد في خطاب علم البلاغة، وتقسيم البلاغة إلى ثلاثة علوم: المعاني والبيان والبديع (الشامسي، وعدناني، 2023، ص46- 51؛ آل جعال، 2024).

السكاكي لم يفصل البيان عن المعاني، بل جعله شعبة منه، ولم يطلق على البديع صفة العلم، بل هو فن تحسيني، بل الذي أعطى للبلاغة التقسيم التعليمي هو الخطيب القزويني، وسوف نتبين ذلك لاحقًا.

ويتضح من كل ما سبق أن السكاكي وضع نظرية في الأدب، وليس نظرية في البلاغة، ومن ثم مفتاح العلوم كتاب يتسم بالعلمية، وليس التعليمية، وهو يتميز بالشمول، حيث يجمع مجموعة من العلوم هي الأساس (صرف- نحو – معانٍ)، ويأتي البيان والبديع والحد والاستدلال، كلها متممات لعلم المعاني.

2- الهرمية وتماسك البناء

تبين من نصّ السكاكي في مقدمة المفتاح أن هناك علاقات وثيقة بين مكونات علم الأدب، وهذه العلاقة بين المكونات تمتاز بالهرمية، بحيث يؤسس المستوى النحوي نتائجه وتحليلاته على أساس من النتائج والتحليلات التي ينتهي إليها المستوى الصرفي، كما أن المستوى النحوي يشكل بتحليلاته ونتائجه أساسًا ينبغي أن يقوم عليه الدرس في علم المعاني، والعلاقة الهرمية تتصل بأمر القسمة الثلاثية لعلوم البلاغة (معان – بيان – بديع)، مما ذاعت نسبته إلى السكاكي، لكن يظهر من كلام الإمام أن المنظومة التحليلية تتكون من ثلاثة أقسام هي: الصرف والنحو والمعاني بلا زيادة(مصلوح، 2003، ص 58).

الصرف

/

النحو

/

المعاني

(البيان – البديع – الحد – الاستدلال – الشعر "العروض- القافية")

وهذا التركيب الهرمي منح الكتاب الترابط، فعلم البيان ليس مستقلًا كما حدث عند مَن جاءوا بعد السكاكي، وعلم البديع لم يأتِ مستقلًا، بل جاء لبنة في البناء الذي أنشأه السكاكي، يقول سعد مصلوح: "ونحن لا ننكر أن يستقل البديع بعلم عن نحو ما فعل الخالفون، ولكنَّا نحاول أن نظهر وجه الحق في تماسك البنية المنهجية للمفتاح، ولقد ساورنا صدد هذا سؤال: أترى كان الإمام ينظر بعين الغيب إلى زمان سيأتي يحتمل فيه وزر الخالفين، ما استغرقوا فيه أنفسهم من بديعيات وزخرف وتكلف صنعة، فآثر أن ينفض يده من إسباغ صفة العلم المستقل على البديع؟"(مصلوح، 2003، ص 60).

وتبدو الهرمية، والتماسك المنهجي من خلال وظائف الأدب، وهي عند السكاكي ثلاث، تتجلَّى في قوله: " واعلم أن علم الأدب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الأوضاع وشيء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف التمام، أما إذا خضت فيه لهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطأ في العربية وسلوك جادة الصواب فيها اعترض دونك منه أنواع تلقى لأدناها عرق القربة، لاسيما إذا انضم على همتك الشغف بالتلقي لمراد الله تعالى من كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه "(السكاكي، 1983، ص 7).

وهذا النص صريح في أن الوظائف المذكورة مرتبة تصاعديًّا بحسب الأهمية، فهي مستويات:

المستوى الأدنى: مستوى المعرفة الأولية بالموضوع.

المستوى الأوسط: مستوى إنتاج النصوص الأدبية، أي مستوى النصوص السليمة، مستوى الاحتراز من الأخطاء وسلوك طريق الصواب.

المستوى الأعلى: مستوى الطموح إلى تحقيق مزية إضافية للصواب، وهي القدرة على تلقي مراد الله تعالى من كلامه (العمري، 1999، ص 482).

وهذه الوظائف الثلاث تتعاضد مع العلوم الثلاثة (صرف- نحو – معانٍ)، ومتممات المعاني في منح التماسك المنهجي للمشروع السكاكي الذي يُعنى بعلم الأدب، بوصفه علمًا شاملًا جامعًا لمجموعة من العلوم.

3- استقبال الوافد

لم يغلق السكاكي عينيه عن استقبال الآخر/ الأجنبي، فاستفاد من المنطق الأرسطي، وكان لعلميْ الحد والاستدلال أثرهما في نظرية السكاكي الأدبية، وكان العلمان – كما عرفنا من قبل – متممين لعلم المعاني، وقد طوع العلمين لنظريته العربية، ولم يكن مجرد ناقل، بل هو هاضم لفكر الآخر الوافد، وتطويعه لأصول الثقافة العربية.

ويمكن بيان الاعتبارات التي استحق بهما علما الحد والاستدلال أن يكونا تكملة لعلم المعاني في نظرية علم الأدب، وهذه هي:

الأول: أن مهمة علم المعاني -والبيان شعبة منه- هي معرفة خواص تراكيب الكلام، ومعرفة صياغات المعاني، ليُتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها.

الثاني: أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها.

الثالث: أن صاحب علم المعاني يلزمه لذلك تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي.

الرابع: أن نظم الدليل، وهو ما يقع تحت علم المعاني، تمس فيه الحاجة إلى معرفة أصل واحد من أصول البيان كالتشبيه أو الاستعارة أو الكناية، إذ جميعها تجتمع في نظم الدليل، أي إثبات صفة لشيء، أو نفي صفة عن شيء.

الخامس: أن بعض فنون القول كالمناظرة والجدل والخطابة تكون المعرفة فيها بخواص تراكيب الكلام الاستدلالي (مصلوح، 2003، ص 62).

المبحث الثاني: اتجاه الخطيب القزويني البلاغي

تأثر الخطيب القزويني بكتاب السكاكي (مفتاح العلوم)، والسكاكي تأثر بعبد القاهر، فمن الطبيعي أن يتأثر بعبد القاهر في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، لكن القزويني اختلف عن السكاكي في علميته وشموليته، واتجه اتجاهًا تعليميًّا تقعيديًّا، وإن كان القزويني متأثرًا بالسكاكي، فلم يكن تابعًا له في كل المواقف، فنراه يضرب صفحًا عن الصرف والنحو والحد والاستدلال والعروض، ويوافق السكاكي في مواضع ويناقشه في مواضع أخرى، واقتصر في كتابه على علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وأكثر من شواهد القرآن، فكان اتجاهه تعليميًّا تأثريًّا دينيًّا، ويمكن أن نتبين هذه المناحي الثلاثة على هذا النحو:

1- الاتجاه التعليمي التقعيدي

لخص القزويني (مفتاح العلوم) للسكاكي، وظهر في هذا الكتاب الهدف التعليمي، والاتجاه نحو التقعيد، وإن كان السكاكي اتجه نحو الشمول والأدبية، فإن القزويني نحا نحو التخصص والتقعيد ولكنه جعل التلخيص "أسلوبًا تقريريًّا لا

يُعْنَى إلا بجمع القواعد في أوجز لفظ؛ حتى أسرف في الإيجاز إسراف عبد القاهر في الإطناب، وجعل من تلخيصه متنًا يحتاج إلى شروح وحواشٍ وتقارير، ولكن عيبه هذا كان موضع تقدير المتأخرين وإعجابهم"(الصعيدي، 2005: 5/1).

وعندما أحس القزويني أن (التلخيص) بحاجة إلى مزيد من إيضاح، فتوجه إليه بطريقة المعلم بالشرح والتفسير، وإبداء الآراء في مسائل تناولها العلماء قبله، وأبدى نوعًا من الاختلاف في وجهات النظر، ومن هنا كان كتابه (الإيضاح) إيضاح للتلخيص، وإضاءة له.

يقول عبد المتعال الصعيدي: " فلما فرغ من تلخيصه شعر هو أيضًا بحاجته إلى شرح، فوضع كتابه (الإيضاح) كشرح له، يجري على ترتيبه في إطناب يختصره أحيانًا من كتابَيْ عبد القاهر، وأحيانا من كتاب السكاكي مع شيء من التهذيب فيه، ومع كثير من النقد الذي يفصِّله أحيانًا، ويرمز إليه أحيانًا بقوله: وفيه نظر .وبهذا جاء (الإيضاح) وسطًا بين إيجاز التلخيص، وإسهاب عبد القاهر. وكان بهذا هو الكتاب الممتاز على غيره من كتب البلاغة القديمة. (الصعيدي، 2005: 6/1)"

وقد صرَّح الخطيب نفسه عن وجهته التعليمية التي تقوم على التقسيم، والتقعيد، والشرح، والتفسير، وإيراد الشاهد، لكنَّه لم يقف عند الذي استفاده من السكاكي، وعبد القاهر، وغيرهما، بل كان يضيف، ويناقش، ويفند الآراء، ومن مقدمة الكتاب يتضح منهج المؤلف واتجاهه، حيث قال فيها: "فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها، ترجمته بـ(الإيضاح)، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته:(تلخيص المفتاح)، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه (مفتاح العلوم)، وإلى ما خلا عنه (المفتاح)من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله- في كتابيه (دلائل الإعجاز)و (أسرار البلاغة)، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما؛ فاستخرجت زبدة ذلك كله، وهذبتها ورتبتها، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري؛ فجاء بحمد الله جامعًا لأشتات هذا العلم" (القزويني، د.ت: 16/1).

وقد قرر محقق كتاب (الإيضاح)، أن الكتاب من أهم الكتب الدراسية، ومن ثم فقد لاقى الكتاب قبولًا في أروقة قاعات الدرس، يقول: "وكتاب "الإيضاح" عمل جليل في البلاغة سواء في ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه، أم في استيعابه واستقصائه وتحليله، أم في جمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع، أم في أسلوبه الأدبي وروحه وكثرة تطبيقاته الأدبية، وهو أهم كتاب دراسي في البلاغة في العصر الحاضر" (القزويني، د.ت: 16/1).

ومهما يكن من أمر، فإن سمات الكتاب التعليمية واضحة، فلغته واضحة، ونلحظ ترابط الكتاب وتسلسله وتماسكه، وموضوعات علوم البلاغة مرتبة ترتيبًا منطقيًّا، مع مراعاة الوضوح، وعرض المادة مع الشرح والتفسير وتحليل الشواهد.

2- الاتجاه التأثري

تأثُّر القزويني بالسكاكي واضح، فقد نهض في كتابيه "التلخيص"، و"الإيضاح" على "مفتاح العلوم"، وقد نصَّ على ذلك صراحة، وهناك كتابان أيضًا تأثر بهما القزويني هما: (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني. وتدل مؤلفات الخطيب في البلاغة على ثقافة بلاغية وأدبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات في البلاغة وفي مقدمتها": أسرار البلاغة"و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر، والمفتاح للسكاكي، وقد ألَّف الخطيب مختصرًا صغيرًا للمفتاح في البلاغة، أو للقسم... الثالث..، وسماه" تلخيص المفتاح، ثم ألف الخطيب كتابه الإيضاح في البلاغة على ترتيب التلخيص"(القزويني، د.ت: 11/1، 12).

وقد أشار الخطيب نفسه في مقدمة الإيضاح. إلى هذا الأمر، ونلاحظ في الكتاب روحًا من أسلوب عبد القاهر الذي جمع بين التحقيق العلمي والرصانة الأدبية (القزويني، د.ت: 12/1).

وإذا كان الأثر الأكبر للسكاكي وعبد القاهر في "الإيضاح"، فإن الخطيب يستدعي إلى كتابه تعريفات وآراء علماء آخرين، وهي كثيرة جدًّا، وسوف أذكر بعض الأمثلة القليلة حتى لا يضيق بنا المجال.

ومن العلماء الذين ترددت أسماؤهم في الكتاب ابن سنان الخفاجي على حد قول القزويني:" ذكر ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ " (القزويني، د.ت: 18/1).

ولم يتوقف تأثر القزويني عند علماء البلاغة فحسب، بل نرى آراء علماء النحو مبثوثة في ثنايا الكتاب، ويأتي في مقدمتهم إمام النحاة سيبويه، يقول: "هذا بعض ما ذكره سيبويه في الكتاب عن المجاز العقلي... وبهذا التقدير تخرج هذه الأساليب عند سيبويه عن معنى المجاز الذي نفهمه من كلام المتأخرين... فالمجاز العقلي محمول عنده على السعة في الكلام وحذف مضاف" (القزويني، د.ت: 105/1؛ سيبويه، 1975: 169/1).

ولم يقف القزويني عند رأي سيبويه، بل أتى بشاهد شعري للخنساء، ليدلل على صحة رأي سيبويه، ثم يحلل قضية السعة، ويعضد رأي سيبويه برأي عالمين من علماء النحو، يقول: "ولكنه جاز على السعة فاستخفوا واختصروا، والسيرافي والشنتمري يجعلانه على تقدير مضاف أو تأويل المصدر باسم الفاعل. وهذا بيان لمعنى السعة الذي يقصده صاحب الكتاب. (القزويني، د.ت: 105/1)

آراء العلماء التي وردت في كتاب (الإيضاح) كثيرة جدًّا، وقد صرَّح في مقدمته بهذا بقوله: "وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري؛ فجاء بحمد الله جامعًا لأشتات هذا العلم"(القزويني، د.ت: 16/1).

ورغم أن كتاب (الإيضاح) يغلب عليه الجانب التعليمي، إلَّا أن القزويني في تأثره، يمتاز بعقلية الباحث بالمفهوم الحديث، فهو يأتي بآراء السابقين ويناقشها، ويعمل فكره ويأتي بآراء جديدة لم يكن مسبوقًا إليها.

3- الاتجاه الديني

لقد استمد العلم البلاغي وجوده من الفكر الديني، وقد نبه الكثير من الباحثين قديمًا وحديثًا على هذا الأمر، وكان من غايات علم البلاغة هدفان كبيران، فأما الهدف الأول، فهو التعرف على أحكام الشرع، وبما أن الشريعة الإسلامية أُنزلت بلسان عربي مبين (السامرائي، 2008، ص 11)، "فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة" (ابن خلدون، 2010، ص 565)، وأما الهدف الثاني، فهو معرفة إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله سبحانه وتعالى به من نظم، وجودة سبك (العسكري، 1420، ص 1).

إن اعتبار القزويني المباحث البلاغية "وسيلة إلى المقصد الديني جعله يقسم البلاغة إلى طرفين: أعلى وهو حد الإعجاز، والمقصود هو القرآن الكريم، وما يقرب منه، وهو الحديث النبوي، وأسفل وهو إذا غُيِّر الكلام عنه إلى ما دونه، التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وبينهما مراتب كبيرة، يدخل ضمنها كلام الأدباء والشعراء، وغيرهم من أرباب الفصاحة والبيان" (عفيف، 2016، ص 125).

ويبدو الباعث الديني بوضوح حين نتأمل شواهد القزويني، فقد اهتم بالشاهد القرآني، محلِّلًا كلام الله عز وجل، ووقف على ما فيه من روعة وجمال، حتَّى لا تكاد صفحة من صفحاته تخلو من شاهد قرآني، أو مجموعة من الشواهد، فقد بلغت شواهد الإيضاح ثمانمائة شاهد، منها أكثر من ستمائة آية، وبهذا يكون الخطيب الأوفر في الشواهد من الجرجاني والسكاكي، وهو يزيد عن الجميع في الاستشهاد بالقرآن (القزويني، 1997: 1/ 5).

ومن الأمثلة القرآنية عند القزويني على الحذف قوله: وقال صاحب الكامل: ليلة مزؤودة، أي ذات زؤد، وهو الفزع وجعل الليلة ذات فزع؛ لأنها يفزع فيها، قال تعالى: {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}، أي مكركم في الليل والنهار (القزويني، 1997: 106/1).

ونجد القزويني في مواضع أخرى يستخدم أكثر من شاهد على مسألة واحدة، في قوله: "وفي القرآن مختصرات، فإن مجاز كلام العرب يحذف كثيرًا من الكلام إذا كان فيما يبقى دليل على ما يلقى، فمن ذلك: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِيْ كُنَّا فِيْهَا وَالْعِيْرَ الَّتِيْ أَقْبَلْنَا فِيْهَا} لما كانت القرية والعير لا يسألان ولا يجيبان علم أن المطلوب غيرهما، ولا يجوز على هذا (جاء زيد) وأنت تريد غلامه؛ لأن المجيء يكون له ولا دليل في مثل هذا على المحذوف. ومثل الأول :{وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ}، أي بر من آمن بالله؛ لأن البر لا يكون البار... ومن المختصر في القرآن قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ}، تأويله مثلكم ومثلهم كمثل الناعق بما لا يسمع، فاختصر وحذف (القزويني، 1997: 107/1).

ويرجع استشهاد القزويني بآيات القرآن بهذه الصورة التي تسترعي الانتباه إلى بلاغة القرآن التي هي سبب من أسباب إعجازه، بما فيه من فصاحة مفرداته، ومتانة نظمه، وحسن بيانه، ودقة تعابيره.

"وهذا جعل عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر يوجه نقدًا للخطيب وفقًا لمذهبه الأشعري، يقول: "إن القزويني قد اتخذ من البلاغة- بغير حق- وسيلة تخدم مذهبه، فصرف سبعة من نصوص الله سبحانه وتعالى عن ظاهرها، وهي صفة الاستواء، والنفس، والعجب، والمكرر اليدان، واليمين، والكف، ومجيء الله تعالى لفصل القضاء" (عفيف، 2016، ص 126).

إن استشهاد القزويني بالقرآن بكثرة يُحسب له، فالنص القرآني أعلى النصوص صحة، وأحسنها فصاحة، وأوضحها بيانًا، وهذا كان يجب أن يتمَّ في جميع العلوم، ويُحمد له هذا الأمر أيضًا، فلم يصنع صنيع النحاة الذين قدموا الشعر على القرآن، بل استشهادهم بالقرآن يُعدُّ محدودًا، باستثناء بعض النحاة في عصور متأخرة.

المبحث الثالث: الموازنة بين الاتجاهين

إن الموازنة بين موضوع كتابيْ "مفتاح العلوم" و"الإيضاح"، تجعل بينهما مواضع اتفاق، ومواضع اختلاف، فمواضع الاتفاق أنَّ القزويني بنى كتابه على القسم الثالث من كتاب "المفتاح" (المعاني- البيان- البديع)، وإن كان البيان شعبة من المعاني، لأنه يرى أن علم المعاني يهتم بالمعنى الأساسي، بينما علم البيان يعنى بتوضيح هذا المعنى وإيصاله بطرق مختلفة لتحقيق البلاغة والتأثير، والبديع تحسين عند السكاكي، إلَّا أن القزويني جعل الفنون الثلاثة علومًا مستقلة كل علم قائم برأسه، واتجه نحو التقعيد والتعلمية، عكس السكاكي الذي يتجه نحو العلمية، وتعليمية القزويني منعته من أن يجعل علم البيان تابعًا لعلم المعاني، والبديع تحسينًا له.

ويمتاز "المفتاح" بأنه كتاب شامل علم الأدب، و"الإيضاح" كتاب متخصص حيث إنه" كتاب في البلاغة، فمن يلحق "المفتاح" بالبلاغة، فهو مخطئ فإن "الإمام ينصّ بذلك أيضًا لأنه لا يؤلف كتابًا في علوم البلاغة، وهو على ولعه بالحد والتقسيم والتفريع والتأصيل، وتوضع الحقائق المنتشرة تحت الضبط، لم يذكر في كتابه علمًا بهذا الاسم، ولم يستخدم البلاغة وصناعة البلاغة، إلا مشيرًا بها إلى القدرة التي يتمتع بها البلغاء، ويجعل كلامهم صالحًا للدراسة في علم الأدب" (مصلوح، 2003، ص 52).

أما الخطيب القزويني، فهو الذي أعطى البلاغة اسمها، وجعلها علمًا قائمًا بذاته، له حدود وفنون، وقد نصَّ على ذلك في مقدمة كتابه: "فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها، ترجمته بـ" الإيضاح"، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته" تلخيص المفتاح"، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكلة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه (مفتاح العلوم)، وإلى ما خلا عنه (المفتاح)من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله- في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما؛ فاستخرجت زبدة ذلك كله" (القزويني، 1997: 16/1).

والقزويني اعتمد على كتاب السكاكي "المفتاح" في قسمه الثالث، ولما كان هدف السكاكي مختلفًا عن هدف القزويني، فلم يسعَ السكاكي إلى التأليف في علم البلاغة، ومن ثم فإن كتابه لم يُحِط بكل ما أودعه عبد القاهر في الدلائل والأسرار، فقد أضاف إلى الإيضاح ما فات المفتاح، وأضاف أيضًا آراء لعلماء آخرين، كما مرَّ بنا من قبل في اتجاهه التأثري.

وقد اتفق القزويني مع السكاكي في جلِّ مسائل المفتاح إلَّا أنه خالفه في بعض المسائل، وبذلك يُعدُّ من الأوائل الذين وجهوا إلى السكاكي سهام النقد، فقد خالف القزويني السكاكي في الحقيقة والمجاز، والمجاز العقلي.

فنراه يورد رأي السكاكي، ثم يتبعه بمخالفته له مصحوبًا بالدليل، " وقال السكاكي: الحقيقة العقلية: هي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه.

وإنما قلت: ما عند المتكلم، دون أن أقول: ما عند العقل ليتناول كلام الجاهل إذا قال: شفى الطبيب المريض، رائيًا شفاء المريض من الطبيب، حيث عد منه حقيقة مع أنه غير مفيد لما في العقل من الحكم فيه.. وفيه نظر، لأنه غير مطرد، لصدقه على ما لم يكن المسند فيه فعلًا" (القزويني، 1997: 89/1).

ثم بعد ذلك يورد رأي السكاكي في المجاز العقلي، ثم يتبعه بمخالفته له، فيقول: " المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل، إفادة للخلاف لا بوساطة وضع، كقولك :أنبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسا الخليفة الكعبة" (القزويني، 1997: 1/ 90/1).

ويطيل في مناقشة رأي السكاكي، ويأتي بالأدلة التي يوضح بها وجهة نظره في اعتراضه على السكاكي، فيقول: "وقوله وقول غيره، وإنما اخترناه؛ لأن نسبة المسمى حقيقة أو مجازًا إلى العقل على هذا لنفسه بلا وساطة شيء، وعلى الأول لاشتماله على ما ينتسب إلى العقل، أعني الإسناد" (القزويني، 1997: 92/1).

وقول القزويني: "وقوله وقول غيره"، دليل على أن القزويني لم يقف عند رأي السكاكي فحسب، بل يأتي بكل الآراء التي وافقت السكاكي أو خالفته، ويناقش القزويني الآراء، ليدلل على وجهة نظره في مخالفته للسكاكي.

ويرجع القزويني المجاز العقلي إلى الإسناد، ويستند في ذلك إلى رأي الجمهور، لتكون حجته في نهاية المسألة، حيث يقول: "الحق أن جمهور علماء البلاغة على أن المجاز والحقيقة العقليين إنما هما وصف للإسناد، وما يوهمه كلام السكاكي فمؤول، وتأويل ما يوهمه عبد القاهر في ذلك أظهر في باب التأويل إذ لا يحتاج في تأويله إلى دليل" (القزويني، 1997: 122/1).

كما أبان أيضًا عن مخالفته السكاكي " في مبحث المجاز العقلي، إذ جعله الخطيب من مباحث علم المعاني، على حين عدَّه السكَّاكي من مباحث علم البيان، وكان الخلاف موضعًا للحجاج العقلي بين علماء البلاغة فيما بعد" (مصلوح، 2003، ص 32).

وخالف أيضًا القزويني السكاكي في مسألة "الإيجاز والإطناب"، فيرد رأي السكاكي في المسألة " قال السكاكي: "أما الإيجاز والإطناب؛ فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما، إلا بترك التحقيق، والبناء على شيء عرفي، مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسًا عليه، ولنسمه متعارف الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم" (القزويني، 1997: 198/1).

ونصّ اعتراض القزويني: " وفيه نظر؛ لأنّ كون الشيء نسبيًّا لا يقتضي ألا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي، ثم البناء على متعارف الأوساط، والبسط الذي يكون المقصود جديرًا به، رد إلى جهالة؛ فكيف يصلح للتعريف" (القزويني، 1997: 198/1).

وعلى أية حال فإن الاختلاف يدل على ما وصلت إليه العقلية العربية من القدرة على إيراد الرأي المخالف مصحوبًا بالدليل، فالعالم لم يكن مجرد ناقل لمن سبقه، بل يتلقى النص بوعي، ويحلل ويفسر، وينقد إذا احتاج الأمر ذلك، فلا عصمة لبشر.

والاتجاه التعليمي التخصصي عند القزويني، يختلف عن الاتجاه العلمي الشمولي عند السكاكي، وإذا كان "الإيضاح" محل اهتمام القدماء والمحدثين، وعرف طريقه إلى قاعات الدرس، فإنه يختلف عن "المفتاح" الذي وجه إليه المحدثون نقدًا لاذعًا وحمَّلوا السكاكي وزر جمود البلاغة، غير أن سعد مصلوح، ومحمد العمري اكتشفا في المفتاح تميزًا لم نره في الإيضاح، بحيث نرى "المفتاح" صالحًا لدراسة بعض النظريات الحديثة التي وصلتنا من الغرب.

ونلحظ صلاحية المفتاح للدرس الأسلوبي في قول سعد مصلوح: "فلقد أصبحت البلاغة بفضل ما أنجزه (السكاكي) من عمل علمًا منضبطًا، وصيغت قواعدها صياغة تهيئها، لتكون وسيلة فنية دقيقة، وشريكًا فاعلًا في الصياغة العلمية للدرس النقدي والأسلوبي" (مصلوح، 2003، ص 66).

وقد مرَّ بنا من قبل قول سعد مصلوح إن مشروع السكاكي يقوم على تماسك البناء، والترابط المنهجي، وهذا يتوافق مع منهج نحو النص، أو علم النصَّ، وإن لم ينصَّ على هذا مباشرة، إلَّا أن محمد العمري قد نصَّ على هذا صراحة في قوله:

"الأدب يساوي عند (السكاكي) في نظرنا الخطاب السليم الناجع من هذا المفهوم، يتحدث السكاكي عن علم الأدب الذي نراه تصورًا مبكرًا لما يُسمى حاليًّا علم النص" (العمري، 1999، ص 481).

وبَحَث محمد العمري في قراءته للسكاكي عن البعد التداولي، فقد عدد وظائف علم المعاني في "المفتاح" التي تمخضت عن ثلاث وظائف هي: زيادة الفائدة، والاستحسان، والإقناع (العمري، 1999، ص 492).

والإقناع يرتبط بالحجاج الذي يُعدُّ من أهم الأسس التي قامت عليها النظرية التداولية، ومن ثم فإن قراءة سعد مصلوح ومحمد العمري للسكاكي مختلفة عن السابقين لهما.

وقد أعرض القزويني صفحًا عن الصرف والنحو والحد والاستدلال في "مفتاح العلوم"، والحد والاستدلال جذورهما فلسفية، وهذا كان سر إعراض القدماء عن الكتاب، وكذلك المحدثون رأوا أن ورود هذين العلمين في كتاب السكاكي خطيئة لا تغتفر، والواقع أنه لم يُفهم كتاب السكاكي على وجهه الصحيح، لكن الجذور الفلسفية لها أثرها في جلّ النظريات النقدية واللسانية التي وردتنا من الغرب، وسوف أضرب مثالًا واحدًا على ذلك، وما ينطبق عليه ينطبق على غيره.

فالبنيوية وليدة حركات فلسفية وجمالية ونقدية ولسانية مختلفة، ومن هنا فقد وافقت الفلسفة في مقولات، وخالفتها في مقولات أخرى، مثل الوجود والإنسان والتاريخ، وأصبحت تتحدث عن البنية والنسق والنظام واللغة (قصاب، 2009، ص 119).

ومن كل ما سبق فقد أثبت السكاكي أنه كان سابقًا عصره، وأتي بنظرية متكاملة في علم الأدب، وأنه يُعتبر متفوقًا على القزويني بمراحل واسعة، على عكس نظرة القدماء والمحدثين للرجلين.

فقد أثر السكاكي في البلاغة العربية المتأخرة المتمثلة في دراسات سعد مصلوح، ومحمد العمري، وأثر القزويني في البلاغيين المتأخرين فقد شرحوا "المفتاح" مثل: "مختصر المعاني" وهو شرح السعد التفتازاني، و"مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح" لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للسبكي، وظل تقسيم القزويني هو المعمول به في الجامعات العربية حتى الآن.

النتائج:

1. تأثر الخطيب القزويني بالسكاكي في كتابه المفتاح.
2. امتاز مشروع السكاكي بالعلمية والشمولية، بوصفه كتابًا في علم الأدب، وليس في علم البلاغة.
3. تضافرت في "مفتاح العلوم" مجموعة من العلوم انتظمت في سلك واحد، هو علم الأدب.

4. علم البيان شعبة من علم المعاني، والبديع يؤدي دورًا تحسينيًّا، فهو بمثابة الطلاء للبناء.
5. الحد والاستدلال متممان لعلم المعاني، والشعر أيضًا متمم له بقسميه العروض والقافية.
6. تجلَّت في كتاب "مفتاح العلوم" معطيات علم النص، وكذلك الاتجاه الحجاجي باعتماده على الإقناع.
7. استقبل السكاكي علميْ الحد والاستدلال على سبيل المثاقفة، واستفاد منها في صياغة نظرية عربية.
8. يمتاز كتاب "الإيضاح للقزويني" بالاتجاه نحو التعلمية والتقعيد.
9. تأثر القزويني في إيضاحه بعبد القاهر وغيره، لكن الأثر الأكبر كان للسكاكي.
10. تميز القزويني بعقلية الباحث في تأثره، فناقش الآراء وأتى بمسائل جديدة.
11. بدا الباعث الديني عند القزويني في كثرة الشواهد القرآنية التي لم يبلغها بلاغي قبله.
12. أسفرت الموازنة بين الاتجاهين عن وجود مواطن اتفاق، ومواطن اختلاف بينهما.

المراجع:

آل جعال، ع. ب. م. م. أ. (2024). الفنقلات البلاغيّة عند ابن جُزيّ الكلبِي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل: دراسة تفسيرية. *مجلة الآداب*، *12*(4)، 523–559. https://doi.org/10.35696/arts.v12i4.2226

ابن خلدون، ع. (2010). *المقدمة* (خليل شحادة، تحقيق). دار الفكر.

زنجير، م. ر. (2015). *منهج الخطيب القزويني في قراءة الشعر العربي*، الألوكة.

السامرائي، م. ص. (2008). *تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية* (ط.1). دار عمار.

السكاكي، أ. ي. (1983). *مفتاح العلوم* (نعيم زرزور، تحقيق). دار الكتب العلمية.

سيبويه. (1975). *الكتاب* (عبد السلام هاون، تحقيق). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشامسي، م. وعدناني، م. (2023). التنوع المنهجي للخطاب البلاغي العربي دراسة تحليلية لجهود الجاحظ وعبد القاهر والسكاكي، *مجلة دراسات في التعليم العالي*، *23*(23)، 19-58.

الصعيدي، ع. (2002). *البلاغة العالية- علم المعاني* (ط.3). مكتبة الآداب.

الصعيدي، ع. (2005). *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة* (ط.17). مكتبة الآداب.

عبد الرزاق، ع. (2004). *علم البيان وتاريخه* (ط.1). مكتبة الثقافة الدينية.

عتيق، ع. (2004). *علم البيان*، دار الآفاق العربية.

آل عجيم، م. ب. ي. (2024). مفهوم البلاغة عند العلماء العرب من القرن الثالث إلى الثامن الهجريين: دراسة تحليلية نقدية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *6*(2)، 494–510. https://doi.org/10.53286/arts.v6i2.1956

العسكري، أ. ه. (1420). *كتاب الصناعتين* (محمد آمين الخانجي، تحقيق؛ ط.1). مطبعة محمود بك.

عفيف، ا. (2016). من روافد الفكر البلاغي عند القزويني، *حوليات الآداب واللغات*، (7)، 123-131.

العمري، م. (1999). *البلاغة العربية- أصولها وامتداداتها*، إفريقيا الشرق.

القحطاني، س. ع. ا. آ. م. (2025). تمظهرات المفاهيم الشكلانية عند السكاكي: قراءة في نقد البلاغة. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(3)، 202–221. https://doi.org/10.53286/arts.v7i3.2778

القزويني، ا. (د.ت). *الإيضاح في علوم البلاغة* (محمد عبد المنعم خفاجي، تحقيق). دار الجيل.

قصاب، و. (2009). *مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية* (ط.2). دار الفكر.

محمد، ح. هـ. (2019). جهود السكاكي البلاغية من خلال كتابه "مفتاح العلوم، *مجلة أقلام الهند الإلكترونية*، *4*(3)، 120-131.

مصلوح، س. (2003). *في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة*، مجلس النشر العلمي.

References

Al Jaal, A. M. M. A. (2024). Rhetorical Question-Answer Methods by Ibn Juzay Al-Kalbi in his Exegesis Tasheel Lioloom Attanzeel (Sciences of Revelation Simplified): An Interpretive Study. *Journal of Arts*, *12*(4), 523–559. https://doi.org/10.35696/arts.v12i4.2226

Ibn Khaldūn, ʻA. (2010). *Al-Muqaddimah* (Khalil Shahada, Ed.). Dar Al-Fikr.

Zanjīr, M. R. (2015). *Al-Khatib Al-Qazwini's method in reading Arabic poetry*. Alukah.

Al-Sāmarāʼī, M. Ṣ. (2008). *The influence of religious thought on Arabic rhetoric* (1st ed.). Dar ʻAmmar.

Al-Sakkākī, A. Y. (1983). *Miftāḥ al-ʻUlūm* (Naʻīm Zarzūr, Ed.). Dar Al-Kutub Al-ʻIlmiyyah.

Sībawayh. (1975). *Al-Kitāb* (ʻAbd al-Salām Hārūn, Ed.). Egyptian General Book Organization.

Al-Shāmsī, M., & ʻAdnānī, M. (2023). The methodological diversity in the Arabic rhetorical discourse: An analytical study of the contributions of Al-Jāḥiẓ, ʻAbd al-Qāhir, and Al-Sakkākī. *Journal of Studies in Higher Education*, 23(23), 19–58.

Al-Ṣaʻīdī, ʻA. (2002). *High rhetoric: ʻIlm al-maʻānī* (ṭ. 3). Maktabat Al-Adab.

Al-Ṣaʻīdī, ʻA. (2005). *Bughyat al-Īḍāḥ li-Talkhīṣ al-Miftāḥ fī ʻUlūm al-Balāghah* (ṭ. 17). Maktabat Al-Adab.

ʻAbd al-Razzāq, ʻA. (2004). *ʻIlm al-bayān and its history* (ṭ. 1). Maktabat Al-Thaqāfah Al-Dīnīyyah.

ʻAtīq, ʻA. (2004). *ʻIlm al-bayān*. Dar Al-Afāq Al-ʻArabiyyah.

Al Ajim, M. B. Y. (2024). The Concept of Rhetoric Among Arab Scholars from the Third to the Eighth Century AH: A Critical Analytical Study. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *6*(2), 494–510. https://doi.org/10.53286/arts.v6i2.1956

Al-ʻAskarī, A. H. (1420). *Kitāb al-Ṣināʻatayn* (Muhammad Amin Al-Khānajī, Ed.; ṭ. 1). Maḥmūd Bek Press.

ʻAfīf, A. (2016). On sources of rhetorical thought in Al-Qazwini's works. *Annals of Letters and Languages*, (7), 123–131.

Al-ʻUmari, M. (1999). *Arabic rhetoric: Its origins and extensions*. Ifriqiya Al-Sharq.

Al-Qahtani, S. A. A.-M. (2025). Manifestations of Formalist Concepts in al-Sakkaki: A Reading in Rhetorical Criticism. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(3), 202–221. https://doi.org/10.53286/arts.v7i3.2778

Al-Qazwīnī, A. (n.d.). *Al-Īḍāḥ fī ʻUlūm al-Balāghah* (Muhammad ʻAbd al-Munʻim Khafājī, Ed.). Dar Al-Jīl.

Qaṣṣāb, W. (2009). *Approaches of modern literary criticism: An Islamic perspective* (ṭ. 2). Dar Al-Fikr.

Muhammad, H. H. (2019). Al-Sakkākī's rhetorical contributions through his book *Miftāḥ al-ʻUlūm*. *Aqlām India Electronic Journal*, 4(3), 120–131.

Maṣlūḥ, S. (2003). *On Arabic rhetoric and linguistic stylistics: New horizons*. Scientific Publishing Council.